السلم الحجاجي في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري

أ.د.عبد الاله عبد الوهاب هادي العرداوي
كلية التربية الاساسية/ جامعة الكوفة

تشكل رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري مدونة تراثية تمتاز بعراقة المنجز النصي لمنشئه وبلاغته الاقناعية التي تستند على الحجاج ببنيته وآلياته اللغوية التي حاولنا ان نبرز القول في بعضها /آلياته من خلال تجليات السلم الحجاجي بقوانينه ومفاهيمه في هذه المدونة، وبذلك نجد ان رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري لا تخلو من تمثل لتلك الملفوظات الحجاجية اللغوية والتي تكشف عن قوة الحجج وتراتبية القول، بل لا بد من القول هنا: ان لكل ملفوظ بطبيعته ان يخضع لسلّمية وتراتبية معينة بغض النظر عن صحة الترتيب من عدمه في خدمة النتيجة أو القول كله.

وعليه كانت خطة البحث مقسمة على قسمين : الأول : الإطار النظري الذي تضمن مهاد نظري عن السلم والحجاج والسلم الحجاجي وترجمة محمد بن مسلم الزهري ، والثاني : الإطار التطبيقي متمثلا بنماذج تطبيقية في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري وفق قوانين السلم الحجاجي ثم جاءت الخاتمة التي عرضت أهم النتائج التي توصل اليها البحث ، وختم البحث بثبت للمصادر والمراجع .

وأخيرا فما هذا الجهد الا محاولة علمية حاولت فيها سبر أغوار درر الإمام زين العابدين عليه السلام فان أصبت فهو منّة منن الله وان أخفقت فحسبي الضعف والهوان وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

أولاً: الإطار النظري: التعريف بالمقولات الواردة في البحث.

١ــ السلم لغة واصطلاحاً:

السلم بالضم والتشديد في اللغة ((الدرجة والمرقاة ، قال الزجاج :سمي السلم سلما لأنه يسلمك الى حيث تريد))[١] وزيد اليه ((من الأمكنة العالية فترجى بها السلامة))[٢] : وقيل هو السبب الى الشيء ،سمي بهذا الاسم لأنه يؤدي الى غيره كما يؤدي السلم الذي يرتقى عليه ويصعد عليه[٣].

ومن خلال ما تقدم لا تبعد الدلالة الاصطلاحية للسلم عن معاني الارتفاع والارتقاء في القوة والمكانة بسياق متدرج والتي تبرز بصورة واضحة في دلالة السلم الحجاجي من حيث قوة الحجج كلما ارتفعنا في السلم وباتجاه عمودي .

٢ــ الحجاج لغة واصطلاحاً.

ينطوي النص الحجاجي على احتمالات نسقية وإحالات إشارية ذات ابعاد ثقافية فاعلة تتوسل باللغة وانظمتها المتشابكة من أجل تشكيل فضاءات ما ورائية للمعنى في إطار السياق الكلي للنص[٤].

ونتيجة لتفاعل الذوات الحجاجية في بنية المقولات الحجاجية وما يكتسي هذا التفاعل من جدال واقناع وتأثير تسعى/ الذوات إلى البرهنة واثبات الفاعلية، فان النص الحجاجي يصبح مداراً لدلالات كثيرة مما يجعل النص (غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي)[٥] الذي سنحاول بيانه بما يأتي:

الحجاج لغة:

تقدم المعجمية العربية رؤيتها للحجاج إذ تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة (حجاج) (ح ج ج) على المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، وفيه الدليل على الرأي المرغوب اثباته، وهذا ما نجده وارداً في بعض المعجمات العربية، فمنها مَنْ أورد معنى الحجاج (غلبه بالحجة، أو حاجة محاجّة، وحجاجاً جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكراً فعله، وتحاجّوا: تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان)[٦].

يظهر من هذا القول ان الحجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلّت عليه كلمة (غلبه) وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعى، وما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي[٧] وقد ورد في اساس البلاغة (حاج خصمه فحَجَّه، وفلان خصمه محجوج)[٨] ومعنى محجوجً أي: مغلوب والشخص المتكلم الغالب المُحاجِجُ والسامع المُحاجَجُ المغلوب، أي انه اقتنع بحجة المتكلم.

ومما يزيد هذا المعنى قوة ما قيل في لسان العرب (فالحجة ما دُوفع به الخصم، ورجل محْجَاج أي جَدلٌ، والتحاج التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجة)[٩] وبذلك فمن يدعي صحه رأيه عليه اثبات ذلك.

وقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات في القرآن الكريم منها:

قال تعالى: (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[١٠].

قال تعالى: (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ)[١١].

قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)[١٢].

قال تعالى: (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ)[١٣].

الحجاج اصطلاحاً:

إذا ما تفحصنا المقولات المعجمية[١٤] والبلاغة العربية[١٥] وكذلك البلاغة الارسطية في الخطاب الحجاجي[١٦]، فاننا نلحظ انها تتقاطع لتتمحور حول البرهانية والاستدلال في علاقتها بالحجاج ولهذا يدرك الحجاج بوصفه (حججاً منطقية اقناعية دفاعية توظف من قبل المجادل بغية اقناع الجماهير)[١٧].

واما بيرلمان فانه يحد الحجاج اصطلاحاً في ضوء البلاغة المعاصرة بوصفه: (جملة من الاساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع) [١٨]. وبذلك (يعد الحجاج خطاباً ذا اقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته) [١٩]والحجاجية وهي المصطلح المفضل لدى إريك كراب تبتني (على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانية، فبهذه المقدمات يستمال المعنيون، كما ان لهم الحق في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوراتهم، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل أي عنصر جذاب) [٢٠] كما نرصد تعريفاً آخر للحجاج بالنظر إليه على انه: (وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته، وانتقاداته وتوجيهاته)[٢١].

أما الحجاج عند ديكرو، فهو يفرق بين معنين للحجاج: المعنى العادي، والمعنى الفني أو الاصطلاحي والحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني.

والذي يعنينا في هذا البحث هو الحجاج بالمعنى الفني الذي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية[٢٢]، وصفوة القول مما تقدم نرى ان الحجاج عند ديكرو زميله انسكومير يتركز على اديم لساني بحث، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس، بل يكمن فيها، بينما الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه مثل نظرة منطقية وهذا ما ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطب وجمهوره.

ولا بد من القول هنا، ان هذه العجالة اللغوية والاصطلاحية لا تشكل إلماماً بمصطلحات السلم اوالحجاج والمقولات المعرفية فيهما، لكنها تبقى اضاءة سريعة لهما في حدود صفحات البحث.

٣ــ السلم الحجاجي.

تقدم نظرية ديكرو وزميله انسكومير تصوراً لعلم المحاججة على اساس مبدأ التلازم الحاصل بين الحجة والنتيجة، وهذا التلازم ينطوي على تعدد للحجج (اللازم) في مقابل النتيجة الواحدة (الملزوم) مع ملاحظة درجة التفاوت في قوة تلك الحجج وخدمتها للنتيجة، إذ ان وضوح هذه العلاقة بين الدعوى والحجة في علاقة شبه منطقية إلى حد ما يقتضي تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوتها، وهذا الأمر يقع في صلب فعل الحجاج[٢٣]، فينشأ عن ذلك التفاوت وهذه التراتبية في الحجج سلم حجاجي ينطلق من اضعف حجة حتى يصل إلى أقواها، ومن هنا جاءت تسميته بـــ(السلم الحجاجي) فهو (علاقة ترتيبية للحجج) [٢٤] أو هو (مجموعة غير فارغة من الاقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

١ــ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث ان القول الموجود في الطرف الأعلى يلزم جميع الأقوال التي دونه.

٢ــ كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه والعكس غير صحيح) [٢٥].

ويمكن ان نرمز للعلاقة الترتيبية للحجج كالآتي[٢٦]:

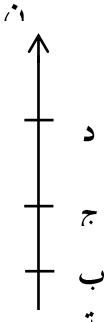

ن = النتيجة.

ب، ج، د: حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فان هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة(٢٧).

ولتوضيح آلية العمل في السلم الحجاجي نأخذ الأقوال الآتية:

علي يمتاز بالكفاءة العلمية، فقد حصل على شهادة البكالوريوس والماجستير وحتى الدكتوراه.

ان هذه الجمل تتضمن إيراد حجج متتالية تنتمي إلى قسم حجاجي واحد أي كلها تؤدي إلى دعم نتيجة واحدة هي (الكفاءة العلمية لعلي)، ولكن الفرق هو في إيراد الحجج من حيث قوتها في دعم النتيجة (ن) فهي متفاوتة، ولإعادة ترتيب هذه الحجج ضمن السلم الحجاجي الواحد يقتضي ان يوضح القول الأخير في (حصول علي على الدكتوراه) في اعلى السلم الحجاجي فهو أقوى الأدلة على كفاءة علي العلمية ثم ترد الحجج الأخرى بحسب قوتها، وهذا ما يبينه المخطط الآتي(٢٨).

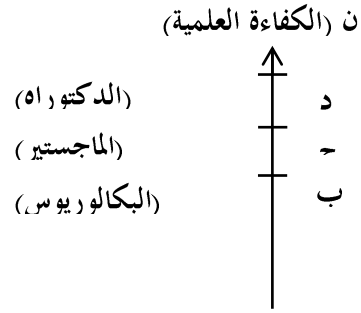

اما بالنسبة للنتيجة، فقد يصرّح بها وقد تبقى ضمنية من قبيل قولنا في المثال الآتي[٢٩]: (زيد لا يقرض أحد، ولا يتصدق، ولو طلبته ذنباً من ذنوبه فلن يعطيك إياه).

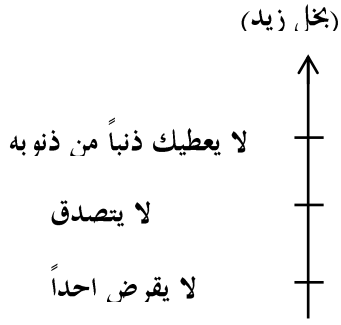

فهذه الحجج التي أوردناها تؤدي إلى فائدة/ نتيجة مضمرة هي (بخل زيد) فهي نتيجة لم يقع التصريح بها، ولكن يمكن استنتاجها من خلال ايراد الحجج التي تدعمها، فهي تقع ضمن فائدة أو قسم واحد[٣٠]، ومن هنا تبرز أهمية السلم الحجاجي من حيث تركيزه على مبدأ التدرج والترتيب في توجيه الحجج بحسب درجة قوتها التأثيرية، فان المحاجة اللغوية لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدد، بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب[٣١].

قوانين السلم الجاجي:

وأهم هذه القوانين ثلاثة:

١ــ قانون تبديل السلم (النفي):

ومقتضى هذا القانون انه (إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فان نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله) [٣٢]، وبعبارة أخرى ان نفي حجة الرأي الأول هي حجة للرأي المخالف، فهو قانون قائم على النفي، بمعنى إذا كان قول ما (أ) مستخدماً من قبل متكلم ليخدم نتيجة معينة، فان نفيه أي (ــ أ) يكون لصالح النتيجة المضادة لها[٣٣]، ولإيضاح القانون يمكن ان نورد هذين المثالين الآتيين[٣٤]:

ـــــ زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

ـــــ زيد ليس مجتهداً، انه لم ينجح في الامتحان.

فإذا تم قبول الحجاج الوارد في المثال رقم (١) وجب القبول كذلك بالحجاج الوارد في المثال رقم (٢).

٢ــ قانون القلب:

يرتبط هذا القانون بالنفي أيضاً، ومقتضى هذا القانون انه إذا كان احد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فان نقيض الثاني أقوى من نقيض الاول في التدليل على المدلول[٣٥]، وبعبارة أخرى (إذا كانت احدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فان نقيض الحجة الثانية اقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة) [٣٦]، وهذا ما يوضحه المثال الآتي:

كان ابو عبد الرحمن نبيل الأخلاق، فهو:

ـــــ طيب مع والديه.

ـــــ طيب مع أخوته.

ـــــ طيب مع أصهاره.

ـــــ طيب مع جيرانه.

ـــــ طيب مع أصدقائه.

ـــــ طيب مع زملائه.

ـــــ طيب مع خصومه.

فطيبته مع جيرانه أقوى دلالة على نبل أخلاقه مع طيبته مع أخوته، ولذلك فنفي طيبته مع أخوته هي دليل أقوى على عدم طيبته مع نقيض طيبته مع جيرانه[٣٧].

ويمكن توضيحه أكثر بالمثال الآتي:

ـــــ حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.

ـــــ لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين ان عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه[٣٨].

٣ــ قانون الخفض:

وهو (إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فان نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها) [٣٩]، وهو ناتج عن طريق النفي اللغوي، ولايضاح ذلك نورد المثال الآتي[٤٠]:

ـــــ الجو ليس بارداً.

ـــــ لم يحضر كثير من الاصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترد ان البرد قارس وشديد (المثال الأول) أوان الاصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني).

وسيؤول القول الاول على الشكل الآتي:

إذا لم يكن الجو بارداً، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يأتي:

ــ يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في ان الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضاً في سَلّمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية، فلا تندرج الاقوال الاثباتية من نمط (الجو بارد) والاقوال المنفية من نمط (الجو ليس بارداً) في الفئة الحجاجية نفسها ولا في السلم الحجاجي نفسه[٤١].

ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي وهو انه إذا كان قول ما يسهل من انشاء فعل حجاجي فان القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الثاني قد يكون صريحاً أو مضمراً، فان كان القول أو الخطاب معلماً، أي مشتملاً على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فان هذه الادوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، اما في حالة كون القول غير معلم، فان التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج عندئذ من الالفاظ والمفردات فضلاً عن السياق التداولي والخطاب العام[٤٢].

ترجمة محمد بن مسلم الزهري:

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن شهاب بن زهرة بن كلاب الزهري المدني، تابعي[٤٣] وقيل محمد بن شهاب الزهري بنسبته إلى جده، والظاهر اتحادهما[٤٤] ولد سنة (٥٢) للهجرة، ومات سنة (١٢٤) للهجرة وله من العمر (٧٢) سنة[٤٥].

ويبدو على ما يظهر من كتب التراجم انه من المنحرفين عن الامام علي عليه السلام وابنائه عليهم السلام كان ابوه مسلم مع مصعب بن الزب٤٦ير وجده عبيد الله مع المشركين يوم بدر، وهو لم يزل عاملاً لبني مروان ويتقلب في دنياهم، جعله هشام بن عبد الملك معلم أولاده، وجعله يملي على أولاده أحاديث فأملى عليهم (٤٠٠) حديث[٤٧] روى ابن ابي الحديد في شرح النهج[٤٨] وما حكاه صاحب تنقيح المقال[٤٩] عن جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة قال: ((شهدت الزهري وعروة بن الزبير في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسين يذكران علياً عليه السلام ونالا منه فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما فقال: اما انت يا عروة فان ابي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك، وأما انت يازهري فلو كنت بمكة لأريتك كرامتك)) ويظهر من ذلك النص نصبه وعداوته للإمام علي وابنائه.

وعده الشيخ الطوسي في رجاله[٥٠] والعلامة الحلي[٥١] وابن داود[٥٢] والتفرشي في نقد الرجال[٥٣] انه عدو.

وقال فيه الذهبي: ((محمد بن مسلم الزهري، الحافظ الحجة كان يدلس في النادر))[٥٤] بينما يرى بعضهم من اصحاب التراجم بانه من اصحاب الامام الصادق[٥٥]عليه السلام واختصاصه بالإمام زين العابدين عليه السلام واتصاله به وأخذه عنه بما يستظهر من تشيعه، ووثاقته[٥٦].

وفي ضوء ما تقدم، وبالتأمل طويلاً في نص الرسالة ما يوحي لنا صدق عدواته للإمام علي عليه السلام وأولاده والله العالم.

ثانياً: الإطار التطبيقي:

تشكل رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري مدونة تراثية تمتاز بعراقة المنجز النصي لمنشئه وبلاغته الاقناعية التي تستند على الحجاج ببنيته وآلياته اللغوية التي حاولنا ان نبرز القول في بعضها /آلياته من خلال تجليات السلم الحجاجي بقوانينه ومفاهيمه في هذه المدونة، وبذلك نجد ان الخطبة الصغرى لفاطمة الزهراء عليها السلام لا تخلو من تمثل لتلك الملفوظات الحجاجية اللغوية والتي تكشف عن قوة الحجج وتراتبية القول بل لا بد من القول هنا: ان

لكل ملفوظ بطبيعته ان يخضع لسلّمية وتراتبية معينة بغض النظر عن صحة الترتيب من عدمه في خدمة النتيجة أو القول كله.

وللتدليل على ذلك نأخذ الأمثلة الآتية:

تتسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطهما بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من اجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط أحرف العطف: (الواو، والفاء، وثم) إذ انها تقوم بدور حجاجي كبير، فالملاحظ انها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة ووصفهما مسلماً حجاجياً يُخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فانها تسهم ايضاً في بداعة المعنى المقصود ولا سيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب،

فذلك يزيد من الاثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة أخرى[٥٧] وفي هذا المورد سنحاول ان نبين عمل هذه الروابط في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام محمد بن مسلم الزهري، وبيان مستوى دعمها لعلم المحاججة.

أــ الرابط الحجاجي (الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل يعمل على رصّ الحجج وتماسكها وتقويتها، فضلاً عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج[٥٨] وعرضها.

ومن الشواهد في نص الرسالة قوله عليه السلام: ((فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها ان يرحمك، فقد اثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وعرّفك من سنّة نبيه محمد صلّى الله عليه وآله))[٥٩].

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضاً على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، وهي (فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها يحمك، كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلّمية تدرّجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي أي عكس السلم الحجاجي:

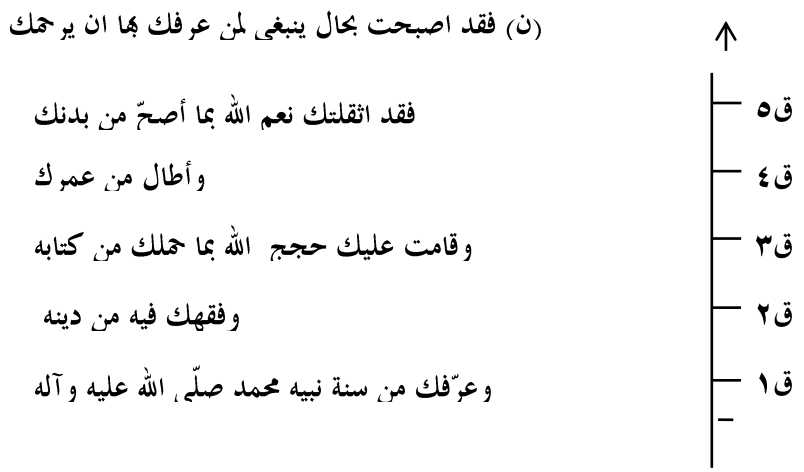

وهنا يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الاقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في أعلى السلم الحجاجي.

ومن شواهد (الواو) الحجاجية، قوله عليه السلام: ((أو ليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيرهم سالكاً سبيلهم))[٦٠]، فالحجج المترادفة قد استقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (أو ليس بدعائه اياك حين دعاك) كما اشتغل الرابط على التراتبية، وادراج الحج بشكل افقي بحيث يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الأقوى لخدمة النتيجة المطروحة لوقوعها في اعلى السلم الحجاجي.

(ن) أو ليس بدعائه اياك حين دعاك

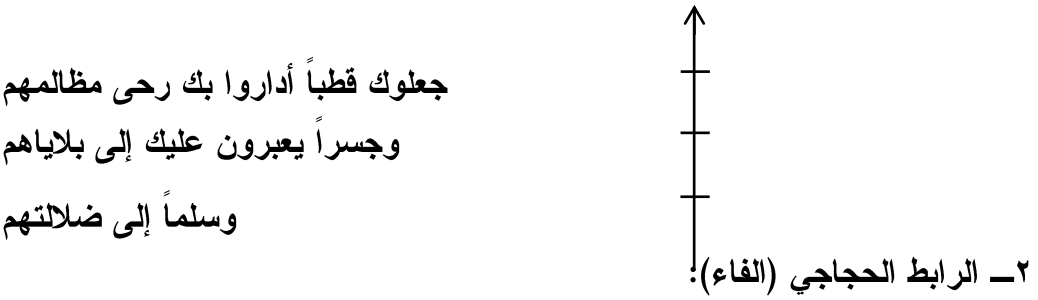

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ انها تربط بين النتيجة والحجة من اجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي، ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسبباً عما قبله[٦١].

ومن أمثلتها قوله عليه السلام: ((احذر فقد نبئت. بادر فقد أجلّت))[٦٢]، نلاحظ ان (الفاء) قد ربطت بين الحجة والنتيجة فكان ما بعدها من حجة (نبئت، أجلّت) قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرابط (احذر، بادر).

ومنه ايضاً قوله عليه السلام (تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد)) [٦٣].

فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال/ التسارع في تلبية الدعوة من دون مهلة، إذ أفادت التعقيب مباشرة خلافاً لما تفيده (ثم) من معنى التراخي فكان ما قبلها علّة وسبباً لما بعدها.

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه آن لنا ان نختم بحثنا بعد ان نظرنا إلى الحجاج بوصفه منهجاً لتحليل الخطاب عبر بنيته واساليبه وآلياته اللغوية، وان نشرع ببيان نتائج بحثنا وهي كالآتي:

ــ اعتمدت رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام على الحجاج اللغوي بوصف الحجاج في اللغة ظاهرة لغوية بجدها في كل قول وفي كل خطاب بحسب ديكرو.

ــ اشتغلت مفاهيم السلم اللغوية والاصطلاحية على معاني الارتفاع والارتقاء في القوة والمكانة بسياق متدرج والتي تبرز بصورة واضحة في دلالة السلم الحجاجي من حيث قوة الحجج كلما ارتفعنا في السلم وباتجاه عمودي .

ــ دارت معاني الحجاج في معاجم اللغة حول معاني التنازع والتخاصم والتغالب بواسطة الأدلة والبراهين والحجج بين طرفين وهو بذلك يكون مرادفاً للجدل الذي يقابل الحجة بالحجة.

ــ وظفت معاني الاحتجاج الاصطلاحية دلالات تواصلية عبر وسائل وادوات منطقية وبلاغية كفيلة بإحداث التأثير والتوجيه والاقناع من خلال التفنيد أو الحث أو الدعم من دون تعسف أو اكراه.

ــ خضعت الحجج التي قدمها الإمام زين العابدين عليه السلام إلى التدرج في بناء الافكار ضمن سلم حجاجي إذ تبدأ الحجة فيه باتجاه عمودي لتكون الحجة الأقوى في أول القول وذلك لاستمالة المخاطب والتأثير فيه.

ــ ان التلازم الحاصل بين الحجة والنتيجة ينطوي على تعدد الحجج (اللازم) في مقابل النتيجة الواحدة (الملزوم) مع التفاوت في قوة تلك الحجج وخدمتها للنتيجة.

ــ ان العلاقة بين الدعوة والحجة هي علاقة شبه منطقية إلى حد ما يقتضي فيها تزاحم الحجج وترتيبها بحسب قوتها، وهذا الأمر غاية الحجاج ومرامه.

ـ ينطلق السلم الحجاجي من تراتبية في الحجج تبدا من أضعف حجة حتى تصل إلى أقواها وهذا ما بينه الإمام زين العابدين في رسالته إلى محمد بن مسلم الزهري التي استندت بموجبه الحجج إلى تراتبية استوفت شروط السلم الحجاجي.

ثبت المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ الاحتجاج الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق : محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ ـــــ ١٩٦٦م.

ـ اساس البلاغة، الزمخشري (جار الله ابو القاسم محمود بن عمر) تحقيق: عبد الرحيم محمود، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٩٩٨م.

ـ استراتيجيات الخطاب ـــ مقاربة تداولية ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤م.

ـ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، د. جمادي صمود، ط١، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس ١٩٩٨م.

ـ بلاغة الحجاج في النص الشعري، دالية الراعي التميزي نموذجاً، د. يوسف محمود عليمات بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩).

ـــ تاج العروس الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) تحقيق : علي شيري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م .

ـــ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ابن شعبة الحراني (ت القرن الرابع الهجري) تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط٢، قم ١٤٠٤هـ.

- التداولية والحجاج مداخلة ونصوص، صابر الحباشة، ط١ دار صفحات للدراسات والنشر دمشق، سوريا ٢٠٠٨م، العدد (١+٢) ٢٠١٣م.

ـــ جامع الرواة، محمد علي الاردبيلي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ١٤٠٣هـ.

-الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠١م.

-الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، يمينة تابتي، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد (٢) ٢٠٠٧م.

ـــ الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، يعمرانن نعيمة (رسالة ماجستير) كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر ٢٠١٢م.

ـ الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل علوي وآخرون، ط١، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، ٢٠١٠م.

ـ الخطابة: ارسطو ترجمة عن اليونانية وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٠م.

ـــــ خلاصة الأقوال، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، قم ١٤١٧هـ.

ـــــ رجال ابن داود، ابن داود الحلي (ت ٧٤٠هـ) تحقيق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

ـــــ رجال الطوسي، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: الشيخ جواد القيومي مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط، قم ١٤١٥هـ.

ـ رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ دراسة حجاجية ـ رائد مجيد جبار الزبيدي، (اطروحة دكتوراه) كلية الآداب، جامعة البصرة ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

ـ زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الايدلوجية للنص، حركية الزمن، الايدلوجي، المعرفي، جمال الدين الخضور، ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ، سوريا ١٩٩٥م.

ـــــ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت٦٥٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العرب، ط١، بغداد ٢٠٠٥م.

ـــــ طرائف المقال، علي البروجردي، تحقيق: مهدي رجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ط١، ١٤١٠هـ.

ـــــ قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، قم ١٤١٩هـ.

ـ في اصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

ـ لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ) نشر أدب الحوزة ،١٤٠٥هـ.

ـ اللغة والحجاج، أبو بكر الغراوي، ط١، العمدة في الطبع، المغرب ٢٠٠٦م.

ـ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.

ـ مجمع البحرين ومطلع النيرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ) ،ط٢، الناشر مرتضوي ،طهران (د.ت) .

ـ مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، الاستاذ عباس حشاني بحث منشور في مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (٩) ٢٠١٣م.

ـــــ معجم رجال الحديث، السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ)، ط٥، ١٩٩٢م.

ـ المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط٢، المكتبة الاسلامية (د. م) (د. ت).

ـــــ منتهى المقال في أحوال الرجال، الشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني (ت ١٢١٦هـ) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة ستاره، ط١، قم ١٤١٦هـ).

ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.

ـــ ميزان الاعتدال، الذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ت).

ـــ نقد الرجال، التفرشي (ت القرن الحادي عشر للهجرة) مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة ستارة، ط١، قم (د.ت).

الهوامش:-

(١) لسان العرب :٢٩٩/١٢ مادة (حجج)

(٢) تاج العروس ٣٥٠/١٦

(٣) ينظر :تاج العروس ٣٥٠/١٦، ولسان العرب : ٢٩٩/١٢ مادة (حجج)،ومجمع البحرين :٩٠/٦.

(٤) ينظر: بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٥.

(٥) زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الايدلوجية للنص: ١٠٧.

(٦) المعجم الوسيط: ١٠٦/١ ــ ١٠٧.

(٧) ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: ٢٦٨.

(٨) اساس البلاغة: ٧٤.

(٩) لسان العرب:٢٩٩/١٢ مادة (حجج).

(١٠) آل عمران: ٦٦.

(١١) الانعام: ٨٠.

(١٢) الشورى: ١٦.

(١٣) غافر: ٤٧.

(١٤) ينظر: لسان العرب :٢٩٩/١٢ مادة (حجج).

(١٥) ينظر مثلاً: منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٦٢.

(١٦) ينظر: الخطابة: ٢٢٦.

(17) blair, J.Anthony, Everyday ArgumenTation from an in for mal logic perspective, 358.

نقلاً عن بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٧.

(١٨) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢١.

(١٩) الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية: ٣٣٦. ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالات.

(20) krabbe, Erik, theory of Argumentaion and the Dialectical Garb of For mal logic, p. 123.

نقلاً عن بلاغة الحجاج في النص الشعري: ٢٥٩.

(٢١) الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي: ٢٨٤.
(٢٢) ينظر: التداولية والحجاج: ٢١.
(٢٣) استراتيجية الخطاب: ٤٩٩.
(٢٤) اللغة والحجاج: ٢٠.
(٢٥) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٧ ــ ٢٧٨.
(٢٦) اللغة والحجاج : ٢١.
(٢٧) ينظر المرجع نفسه: ٢١.

(٢٨) ينظر: اللغة والحجاج: ٢١.
(٢٩) ينظر: استراتيجية الخطاب: ٥٠١.
(٣٠) ينظر: رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ــ دراسة حجاجية ــ : ٩٣.
(٣١) ينظر: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب (اهم نظريات الحجاج): ٣٧٠.
(٣٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٨.
(٣٣) ينظر: الحجاج في اللغة: ٦٢.
(٣٤) ينظر: المرجع نفسه: ٦٢.
(٣٥) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٨.
(٣٦) الحجاج في اللغة: ٦٣.
(٣٧) ينظر: استراتيجية الخطاب: ٥٠٤.
(٣٨) ينظر: الحجاج في اللغة: ٦٣.
(٣٩) في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: ١٠٥.
(٤٠) الحجاج في اللغة: ٦٢.
(٤١) ينظر: الحجاج في اللغة: ٦٢.
(٤٢) ينظر: المرجع نفسه: ٦٥.
(٤٣)ينظر: رجال الشيخ: ٣١٦ الرقم ٢٩٩، ورجال الطوسي: ٢٩٤، ورجال ابن داود: ١٨٤، خلاصة الاقوال: ٢٥٠، ونقد الرجال: ٣٢٤/٤، وجامع الرواة ٢٠١/٢، وطرائق المقال: ٤٠/٢، وقاموس الرجال: ٥٨٢/٩، ومعجم رجال الحديث: ٢٧١/٨.
(٤٤)ينظر: قاموس الرجال: ٥٨٢/٩.
(٤٥)ينظر المصادر السابقة في هامش رقم (١).

(٤٧)ينظر شرح نهج البلاغة: ١٦/٤، ١٠٢.
(٤٨)ينظر: المصدر نفسه: ١٦/٤، ١٠٢.
(٤٩)ينظر تنقيح المقال: ٢٠٢.

(٥٠)ينظر رجال الشيخ: ٣١٦ الرقم ٢٩٩.

(٥١)ينظر: خلاصة الاقوال: ٢٥٠.

(٥٢)ينظر: رجال ابن داود: ١٨٤.

(٥٣)ينظر: نقد الرجال: ٣٢٤/٤.

(٥٤)ميزان الاعتدال: ٤٠/٤.

(٥٥)ينظر: رجال الطوسي: ٢٩٤.

(٥٦)ينظر: الكافي: ٣١٧/٢، ومعجم رجال الحديث: ٢٧١/٨.

(٥٧) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير): ٩٣.

(٥٨) ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـــ دراسة حجاجية ـــ: ١٢٣.

(٥٩) تحف العقول: ٢٧٥.

(٦٠) تحف العقول: ٢٧٥.

(٦١) ينظر: رسائل الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـــ دراسة حجاجية ـــ: ١٢٤.

(٦٢) تحف العقول: ٢٧٦.

(٦٣) م.ن:٢٧٦.